



بسم الله، الحمد لله، والصلوة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

أما بعد فإن بدھية انحراف النظام الجاسم على صدور أهالي الشام، وإعلان حربه على الإسلام لا تحتاج إلى كثير نظر استدلال، وهي أوضح دلالة من نار على علم، اللهم إلا إذا كانت العين تنكر ضوء الشمس من رمد!

فحينئذ قد يرد الخلط بسبب مرض في الباصرة، وقد يكذب الإنسان الخبر عن جهل، أو قد يجادل ويماحى على طريقة مشركي مكة وسائر الطغاة المستكبرين، لا لأن الأمر كذلك، بل لأن صاحب المناورة هذا لا يريد أن يقر بالحقيقة، ولا يبحث عنها لعلة ما يكشفها الباري عز وجل في يوم قريب أو بعيد!

إن تأسيس جبهة في الشام يرعاها النظام من فريق العلماء وأدعية العلم على السواء، يجلس أفرادها على طاولة واحدة، يؤدون طقوساً واحدة، يسعون إلى غرض واحد هو الدفاع عن جرائم هذا النظام، وتثبيط عزائم الشباب عن الالتحاق بركب الثورة.

إن تأسيس هذه الجبهة المشبوهة في جانب، والمغلوب بعض أبنائها في جانب آخر لا يعني أنهم بالضرورة على حق، كما لا يلزم معه أن غيرهم على باطل، لأن النظام هو النظام في جبروته ودمويته وإرهابه فلا يجمله (ماكياج) نفاق أهل الأرض جمیعاً، لأن الباطل لا يستحيل إلى حق بتدخل المزینین في قبح وجهه كما لا تستحيل العجوز الشمطاء إلى شابة جميلة بدخولها إلى أرقى مراكز التجميل العالمية، فكيف إذا أضافت إلى قبح وجهها سيرة خبيثة فاسدة هي أشد تشوهاً من وجهها القبيح؟

كما أن الباطل لا يستحيل إلى حق بتلاعب بعض الرجال الموظفين لتحسين صورته. قال الإمام الشاطبي: "يقاس الرجال بالحق، ولا يقاس الحق بالرجال"

إن ميزان الحق هو الشريعة وضوابطها وليس رجالاً اشتراهم أو هددهم أو ضحك على لحاظهم النظام. ذلك أن لتنكب الناس عن الحق أسباباً متعددة، لكنها تؤدي في النتيجة إلى صورة واحدة عند أصحابها هي انحرافهم عن جادة الحق، وانحيازهم إلى ضلال الباطل، وهو ما يترتب عليه الجزاء الدنيوي والأخروي، وذلك من أدق مقاييس العدالة الإلهية، وهو أن الله - عز وجل - لا يستحي من الحق، وأنه يثيب أهله، ويعاقب مناوئيه، وأن سلطانه على الوجود مبسوط، لا راد لقضائه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

إن المنزلقات التي قد تقف وراء انحدار أصحابها إلى مستنقعات الضلال والتيه ليست على هيئة واحدة لكنها على صور، لأن المعاند إما أن يفعل ذلك ابتغاء عصبية عمياء لا غير، رافضاً الخروج من قواعتها، بعد أن صارت جزءاً من شخصيته وموروثاته الثقافية!

إن من كان منتمياً لهذه الشريحة الثقافية المتعصبة من العلماء ليس بالضرورة أن تعود عليه فائدة دينية لكنه متتوقع في مستنقعات قول موروث عن العوام رياه عليه أبوه و جده:

(كل من تزوج أمي فهو عمي) متجاهلاً أو جاهلاً بأن الكافر لا يجوز له أن يتزوج أمي ولو أنه فعل ذلك فلن يحمل شرف عمي أبداً، ولن أنتسب إليه يوماً، ومصير هذا العقد هو التفريق بين المعتدي والمعتدى عليه، وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم: (إلا أن تروا كفراً بواحا لكم فيه من الله برهان)

إن هذا الصنف من البشر لا يفعل شيئاً سوى أن يغمض عينيه عن الحق مكتلاً نفسه بأغلال التقليد الأعمى، لذا فهو عبد لموروثاته المتعفنة التي ما أنزل الله بها من سلطان، لا يستطيع عن مساره خروجاً!

وفي هؤلاء يقول الباري - عز وجل - في سورة البقرة: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَابُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ" الآية 170.

أو أن المعاند يجحد الحق بسبب مرض الكبر والاستعلاء مما يجعله في جادة الصنف السابق ويعمله من الانقياد لركب الحق وأهله!

وعن هذا الصنف الفاسد يحدثنا البيان الإلهي حين يقول: "وَجَدُوا بَهَا وَاسْتِيقْنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظَلَّمَا وَعَلَوَا" فواقع الحال أنهم جدوا بأيات الله، وعلة الجحود الظلم والعلو، لذلك وقعت لفظة "ظلما" في إعرابها مفعولاً لأجله، أما في قراره أنفسهم فقد أيقنوا بصدق آيات الله تعالى، لهذا وقعت الجملة السابقة في قوله تعالى: "وَاسْتِيقْنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ" جملة اعترافية تبين جحودهم وعلة ذلك الجحود.

وإما أن يقع رفضهم للحق من باب المصالح الدنيوية التي ألحقتهم بالباطل بحيث صاروا له في التبعية كالذيل من جسد الدابة، فهو يسير معه حيث يسير، وينحرف حيث انحرف، يلوح به صاحبه في وجوه الآخرين كيف يشاء يمنة ويسرة دون أن يملك الذنب انفكاكاً أو اعتراضاً أو حرية في الاختيار، لأنه ذليل حقير منقاد اختيار لنفسه هذا الطريق، و من ثم صار عاجزاً كل العجز عن الرجوع عنه فضلاً عن تبديل المسار، وهو بهذا لم يفقد فرصة الرجوع إلى الحق فحسب، وإنما فقد كذلك القيمة الإنسانية والاجتماعية بين خلق الله جميماً، فخسر الدين والدنيا معاً، فهو عند الله تافه لا قيمة له.

ومع الحلقة الرابعة بإذنه تعالى.

المصادر: